محاضرة3: الجهود العربية القديمة في المصطلحية

ارتبط النشاط الاصطلاحي في العصور الإسلامية الأولى بعملية تدوين اللغة والتقعيد لها، وإرساء علومها، وبحركة الترجمة ارتباطًا وثيقًا، إذ احتاج علماء اللغة والمترجمون إلى إيجاد الألفاظ الدقيقة التي تعبّر عن المعاني المقصودة، كما احتاجوا بصورة أساسية إلى وضع مصطلحات علمية باللغة العربية لنقل المفاهيم الواردة في اللغات الأصلية إلى العربية .

1- النشاط الاصطلاحي في صدر الإسلام

لم يكن العرب قبل الإسلام ينتجون العلوم ولا على اتصال علمي بالشعوب الأخرى، إذ اقتصر احتكاكهم بغيرهم على بعض الضرورات، كالتجارة والحروب .ولذلك ظلت اللغة العربية محافظة على فصاحتها وسلامتها من اللحن والعجمة، وكان للقرآن الكريم أثر بالغ في إثراء اللغة العربية وتطوير طاقاتها التعبيرية والدلالية، مما أسهم في تهيئتها لاستيعاب مختلف العلوم والمعارف، ولا سيما العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية، وما صاحبها من مصطلحات دقيقة ظلت الى اليوم محافظة على معانيها وتداولها، وكانت ممارسة مصطلحية ناجحة في ذلك العصر.

غير أن انتشار الإسلام أحدث تحولًا كبيرًا في واقع اللغة العربية، إذ اتسعت آفاقها بانتشارها في مختلف الأمصار، وأصبح لها احتكاك بلغات وثقافات متعددة ، فضلًا عن علوم لم يكن للعرب بها سابق عهد واسع، كالفلسفة والفلك والكيمياء والرياضيات.

2-النشاط الاصطلاحي في العصر الأموي

شهدت الترجمة في العصر الأموي اهتمامًا متزايدًا بنقل المعارف والعلوم من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، ومن أبرز الشخصيات التي اهتمت بهذا النشاط خالد بن يزيد(ت 85هـ) الذي عُرف باهتمامه بنقل بعض كتب الفلسفة والعلوم من اللغتين اليونانية والقبطية .ويُنسب إليه أنه كان من أوائل المهتمين بنقل المعارف اليونانية إلى العربية، ومن الكتب التي ارتبطت بهذه الحركة كتاب أحكام النجوم المنسوب إلى هرمس الحكيم، ومن بين المترجمين الذين أسهموا في نقل المعارف الأجنبية، أيوب الزهراوي.

ومن الطبيعي أن تكون المصطلحات التي ترجمت في هذه المرحلة محدودة من حيث الدقة الاصطلاحية ووضوح المعنى وسلامة التركيب، نظرًا إلى حداثة التجربة وقلة الوسائل العلمية والمنهجية المتاحة آنذاك.

3-النشاط الاصطلاحي في العصر العباسي

شهد العصر العباسي ازدهارًا كبيرًا في حركة الترجمة، وبلغ النشاط العلمي والمعرفي فيه مراحل متقدمة، مما انعكس بصورة مباشرة على تطور المصطلح العربي واتساع مجالات استعماله.

-**المرحلة الأولى:** شهدت هذه المرحلة اهتمام الخلفاء العباسيين بالعلوم والمعارف الأجنبية، حيث أنشأ الخليفة أبو جعفر المنصور (ت 158هـ)، ديوانًا للترجمة، وذلك نتيجة اهتمامه بعلوم الهندسة والطب والفلك وغيرها من المعارف. ثم وسع هارون الرشيد(ت193هـ). نشاط الترجمة بتشجيع المترجمين على نقل الكتب العلمية، فتُرجمت في عهده مؤلفات ذات قيمة علمية كبيرة، كان لها أثر واضح في إثراء المعرفة العربية وتطوير مصطلحاتها.

-**المرحلة الثانية:** ابتداءً من عهد الخليفة المأمون، شهدت حركة الترجمة أزهى فتراتها، بتأسيس بيت الحكمة الذي ضمّ أقسامًا متعددة، وأصبح مركزًا علميًا بارزًا للترجمة والبحث وتبادل المعارف، حتى عُدّ من أهم المؤسسات العلمية في تاريخ الحضارة الإسلامية.

وقد تُرجمت في هذه المرحلة مؤلفات كثيرة في الفلسفة والفلك والرياضيات والطب والكيمياء، الأمر الذي أدى إلى اتساع الرصيد الاصطلاحي للغة العربية، وظهور الحاجة إلى ضبط المفاهيم وتوحيد التسميات العلمية.

ومن أشهر المترجمين الذين برزوا في هذه المرحلة حنين بن إسحاق، الذي حظي بتقدير الخليفة المأمون، واجزل له العطاء الى الحد الذي يمنحه وزن كتابه ذهبا، وقد أسهم إسهامًا كبيرًا في نقل المؤلفات الطبية والفلسفية من اليونانية إلى العربية، ومن الطبيعي ان يرافق ذلك وضع مصطلحات تناسب المحتوى المترجم.

وكان يغلب على المترجمين الأوائل استعمال المصطلحات العلمية بصيغتها الأصلية الواردة في لغاتها الأجنبية، إذ لجؤوا إلى الاقتباس المباشر من اللغة اليونانية أو التعريب، فنقلوا بعض المصطلحات بألفاظها الأعجمية، مثل :الغراماتيكا (Grammatica)، والأرتماتيكي (Arithmetica) ، والفيزيقا (Physica)، وغيرها من المصطلحات.

غير أن المترجمين واللغويين الذين جاؤوا بعدهم سعوا إلى إيجاد مقابلات عربية مناسبة لهذه المفاهيم، فاستبدلوا بتلك الألفاظ الأعجمية مصطلحات عربية واضحة ودقيقة، مثل :النحو مقابل الغراماتيكا، والحساب مقابل الأرتماتيكي، والطبيعة مقابل الفيزيقا.

ويكشف هذا التحول عن تطور الوعي الاصطلاحي لدى العلماء العرب، وانتقالهم من مرحلة الاقتباس المباشر للمصطلحات الأجنبية إلى مرحلة البحث عن مقابلات عربية تستجيب لطبيعة المفاهيم العلمية، وتنسجم مع النظام اللغوي العربي.

وتواصلت جهود المؤلفين العرب في مجال المصطلحات، وأسهموا في إرساء أسس علمية لتأليف المعاجم الاصطلاحية، من خلال تدقيق المفاهيم، وضبط ترتيب الألفاظ، وتحديد منهجية وضع المصطلحات وتنظيمها داخل المعاجم .ومن أبرز المؤلفات التي تجسد هذه الجهود :جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر (ت

337هـ)، ومفاتيح العلوم للخوارزمي (ت 380هـ)، والمعرّب من كلام الأعجمي للجواليقي (ت 540هـ)، والتعريفات للجرجاني (ت 816هـ) وكشّاف اصطلاحات الفنون للتهانوي.

وتكشف هذه المؤلفات عن عناية العلماء العرب بجمع المصطلحات وتصنيفها وتحديد دلالاتها، بما أسهم في تطوير التأليف المعجمي المتخصص وإرساء تقاليد مبكرة في العمل الاصطلاحي.